القديس أنبا بولا الكبير

القديس

أنبا بولا الكبير

كافة حقوق الطبع محفوظة

١٩٧٦

يوسف جبرة

مقدمة

هذه سيرة الأب القديس العابد الطاهر والأصل العظيم المثمر الزاهر أول كل المتوحدين ونموذج سائر المتنسكين أنبا بولا الكبير (٢٢٨ - ٣٤٣ م) عاش مائة وخمسة عشر عاماً ، قضى منها أكثر من ثمانين عاما فى قلب الصحراء كما ورد فى قصته لم ير فيها وجه إنسان، ودبرت العناية الإلهية أن يزوره فى اللحظات الأخيرة من حياته القديس أنطونيوس الكبير .

ويبدو أنه لو لم يحدث - بأمر من الله - أن زاره القديس انطونيوس قبل نياحته لطوى الزمن تاريخ القديس بولا ، ولم يكن أحد ليعرف عنه شيئاً للآن ، ولابد أن آخرين غيره عاشوا تائهين فى الجبال والبرارى والمغائر وشقوق الأرض من أجل عظم محبتهم فى الملك المسيح (عب ١١ - ٣٨) - ولكن العالم لم يعرفهم - وهؤلاء الآباء الأطهار - ولو أن سيرهم مجهولة إلا أنهم معروفون للسماء وأسماؤهم نقشت فى سفر الحياة وهم الآن يتنعمون فى الفرح الدائم .

إن أصول الرهبنة والتوحد فى مصر تاريخها أقدم من تاريخ

القديس انطونيوس والقديس بولا ، فقد حدث فى عهد الامبراطور انطونيوس بيوس (١٣٨ - ١٦١) أن انطلق فرنتونيوس ومعه سبعون مسيحياً إلى برية نتريا (وادى النطرون) زهداً فى الدنيا ورغبة فى التقشف والعزلة ، وما تلك الحلة الرهبانية المنظمة إلا واحدة من حلات متعددة كانت تحدث تباعا دون أن تسجلها الكتب المعاصرة . . . لأن الديانة المسيحية وأمامها إنكار الذات وعدم الافتخار بأمثال هذه الألوان من العبادة والتقشف تحض الزهاد والمتوحدين والرهبان على الاحتفاظ بأعمالهم سراً مكتوما لا يعلمه إلا فاحص القلوب .

وأصدق دليل على ذلك حياة الأنبا بولا الذى توغل فى الصحراء الشرقية إلى أن ألقى عصا الترحال فى أحد كهوف الجبال المطلة على البحر الأحمر وهو فى سن مبكرة ومكث بها إلى أن بلغ من العمر أكثر من مائة عام . . . ولولا أن وافاه القديس انطونيوس فى أعماق الصحراء لظل أمره مجهولا . . .

لم يكن لهم فى القديم قواعد مكتوبة يسيرون بمقتضاها أو أنظمة معينة يعملون بها لكنهم كانوا يجتهدون فى هذا الميدان - وكان الرب مرشداً لهم - كانوا يهربون من المديح ويلتصقون

بالواحد ، يعيشون عيشة قاسية محتملين برد الشتاء وحر الصيف، يصبرون على كل شيء ويتغلبون على كل الصعاب التي تقابلهم في حياة الصحراء ملقين كل همهم واتكالهم على الرب يسوع الذي أحبوه من كل قلوبهم ...

وجد الأنبا بولا في الصحراء المترامية الأطراف السلام الشامل والحياة الكاملة التي كان ينشدها وعاش أكثر من ثمانين عاما يقيت في كهف منقور في الصحراء وإلى جانبه بعض النخيل الذي كان يقتات بثمرة ويرتدي برداء الليف الذي يجمعه منه وكان الرب يرعاه ،ولم تؤثر الوحشة والوحدة على حلاوة شمائله وجلال شخصيته وطلاوة حديثه كما يتضح ذلك من لقائه مع القديس انطونيوس .

لقد كان السواح بشراً مثلنا يأكلون ويشربون لكنهم تجردوا تجرداً كاملا عن الماديات وكان الرب يسوع لهم كل شيء فلم يعوزهم شيء .

وفي الجهة التي عاش فيها القديس بولا يوجد ديره الشهير وسنأتي بوصف له فيما بعد .

تعيد الكنيسة للقديس في يوم ٢ أمشير وسيرته مذكورة

بالسنكسار ، واعتاد الرسامون أن يرسموا أنبا بولا بجواره أسدان كذا غراب يحلق فوق رأسه .

قد وفقنا إلى مخطوطة بدير البرموس لناسخها المتنيح القمص مقياس البرموسي، ولا تختلف هذه المخطوطة عن مخطوطة المتحف القبطي التي نسخت سنة ١٠٦١ ش (١٣٤٥ م) ، وقد قمنا بمراجعة هذه المخطوطة وتهذيب عباراتها وتصحيحها وتبويبها واستعنا بمراجع أخرى كثيرة أشرنا إليها .

بركاته المقدسة تكون معنا آمين ؟

يوسف جميل

القديس أنبا بولا الكبير

ميلاده ونشأته

ذكرت مخطوطة البرموس ما ملخصه :

كان بمدينة الاسكندرية[1] رجل غنى لا توصف كثرة غناه من الذهب والفضة والثياب الفاخرة ، رزق ولدان الكبير منهما بطرس والثانى بولس ، فلما مات والدهما أودعاه القبر ودفناه وعادا إلى بيتهما . ولما كملت أيام حزن أبيهما تشاوروا فى قسمة ميراثه . وظلم بطرس أخاه بولس وهو لا يعترض . أراد أن يأخذ جزئين ويدفع لأخيه جزءاً واحداً بحكم أنه الصغير ، ويغمطه حقه كاملا . فحزن قلبه وقال لأخيه لماذا منعت عنى نصيبى الذى استحقه من مال أبى . أليس لكلينا ميراث واحد ، فلماذا تفعل هكذا ؟ . أجاب بطرس وقال لأخيه : « لست أحسدك ولكنى الكبير وأحسن تدبير هذا المال أفضل منك ، فتضيعه

(١) ذكرت مصادر أخرى انه ولد بقرية بأقصى الصعيد .
« Paul the Theban » ,

وتحتاج أخيراً وهذا النصيب الواحد يكفيك حتى تأخذ حد القامة . وإن وقعت فى ضيق دفعت لك كل ما تحتاج إليه ، فقال بولس لأخيه لايكون ذلك بل آخذ نصيبى مثلك من ميراث أبى ومن كل شىء . فقال له بطرس : ما أدفع لك إلا من الآنية فقط . فقال بولس لأخيه : ألانى أصغر سناً تظلمنى وتحرمنى نصيبى من ميراث أبى ؟ . إذا كان هذا ما ترمى إليه نمضى إلى الحاكم ليحكم بيننا وبما يقضى به يتبع . فأقره بطرس على ذلك .

ترك بولا العالم

خرجا من بيتهما ومضيا إلى الحاكم وبينما هما يسيران فى شوارع المدينة نظرا ميتاً ، وقد أخرجه قوم ليدفنوه وخلق عظيم يتبعونه ، وهم محدقون بتابوته يكون عليه كبارهم وصغارهم .

فاستدعى بولس واحداً من الذين يمشون وراء الميت وخاطبه قائلا : « من هذا الذى مات وهم ينوحون عليه هذا النوح العظيم » ، أجاب الرجل وقال :

« ياولدى هذا الرجل الذى مات اليوم فى هذا البلد له خيرات كثيرة وكان متنعما بالذهب والفضة وكثرة الثياب الثمينة ، وها

هم يخرجونه اليوم لا يملك شيئاً من هذا العالم يحمله معه بل قد مضى فى طريق لا يعود منها أبدا ومات وهو فى أمواج خطاياه كلها فإنه لم يتبصر البتة بأن هذا سوف يلحقه . ولم يجد معونة فى جهة من الجهات » .

والآن يا ولدى لتحارب الحرب الروحية فى هذا العالم لأننا لن نخلد فيه إلى الأبد ، وطوبى للرجل الذى له تسلط فى هذا العالم وتركه غير مهتم به فإن الكرامة التى ينالها فى أورشليم السمائية فى مدينة الأبرار فائقة . يوم يأتى كل واحد فى ساعته الصعبة التى لا يعرفها ... إنه لا ينظر لغنى أو فقير ، لا لشيخ أو شاب لكن يجازى كل واحد نظير أعماله .

فلما سمع هذا القول من فم الرجل الذى كان يمشى وحوله الميت بقى باهتا وهكذا تذبه عقله وانكشفت له حقيقة العالم ، وبهذا صار العالم كله لديه كلا شىء . فقال لأخيه . امض بنا إلى بيتنا ، فأجابه . لماذا نتراجع قبل أن نمضى إلى الحاكم ، فقال له بولس : إرجع بنا يا أخى فقد انتهيت إلى قرار وحدى ، فقال بطرس لأخيه : أخبرنى ماذا حدث حتى تطلب الرجوع لعلك

تريد أن تمضى معى لتشهر بى عند مقدمى المدينة ؟ إن كان ما توقعته صحيحاً فقل لى . وإن لم يكن كذلك فاخبرنى أيضاً ولنمض إلى منازلنا ولننفصل فلا يعلم أحد بأمرنا وأنا أرضيك بكل ما تحب .

أجاب بولس وقال له : إلهى الذى خلق كل شىء الخفى والظاهر يكمل بأمره المبارك كل شىء وهو يعلم أنى لست أكن لك فى قلبى شيئاً من الشر البتة ، بل أقولها بقلب سليم لا غش فيه ، نمضى إلى بيوتنا مباشرة والذى تريده فى كل شىء ينفذ . ولى أتحدث إليك مرة أخرى معك بشأن مال أبى . وكفى هذا . وفيما هو ماض مع أخيه فى شوارع المدينة إلى البيت توارى بولس عن أخيه ولم يعلم كيف اختفى . فأقام بطرس منادياً ينادى عليه ثلاثة أيام فى المدينة فلم يجده فزق ثيابه وحزن عليه زماناً طويلا ومكث فى بيته يبكى ليلا ونهاراً ويقول : لماذا تحدثت مع أخى فى مال هذا العالم حتى حل بى هذا .

اقامته فى مغارة بالصحراء الشرقية

انتقل بولس غربى المدينة قليلا فوجد طافوسا (قبراً)

فدخل فيه وأقام ثلاثة أيام وثلاث ليال يصلى ويبتهل إلى الله ، لايفكر فى أكل أو شرب ، ولم ينل منه الخوف ولا أفشعر جسمه البتة لأن قوة من النور كانت تظلله فى الطافوس الذى كان فيه . فلما كان اليوم الرابع وهو على هذه الحال فى الطافوس أرسل الله إليه ملاكا مضى معه نحو الشرق وتركه فى ذلك الموضع عند عين ماء بقربها نخلة . أما بولس فوجد مغارة موحشة فدخل فيها وصنع له ثوباً من ليف ولبسه وكان منفرداً داخل الجبل فى تلك المغارة يصلى هكذا :

« يا سيدى يسوع المسيح ابن الله الحى أحرسنى وخلصنى من يد العدو غير المشفق، ولتحل رحمتك علىّ ولتقونى حتى أكمل سعيى برضاك إلى اليوم الذى فيه أقف بين يديك يا ملك الدهور كلها ، لأن لك المجد والقوة إلى الأبد آمين » .

وفى أيام أبينا أثناسيوس الرسولى بطريرك الاسكندرية كانت مشاحنة بين رهبان ديار مصر واليونانيين ، فقالوا ترى من هو أول المنفردين ؟ . ـ وفى القديم ولم يكن ظهر بعد الرهبان بل كانوا يدعون لساكا ، ومن أراد أن ينفرد كان يبتعد عن مدينته

قليلا ويبنى له مسكناً وهذا يدعى ناسكا ويتفرغ لنفسه فى قلايته ـ فقال قوم ان أول من سكن البرية هو ايلياس النبى القديس وكان مقيما فى جبل الكرمل وكان يصلى من أجل المطر والندى حتى أنبتت الأرض ثمرتها .

قالوا أيضاً من هو فى جيلنا هذا الذى بلغناه ؟ . من هو أول من سكن البرية ؟ فأجاب قوم آخرون أن أول من سكن البرية يوحنا بن زكريا ، مكتوب أنه كان مقيما فى البرارى إلى يوم ظهوره إلى اسـرائيل . فقالوا أننا لا نسأل عن الأولين ، بل نتساءل من هو أول من سكن البرية فى زماننا الحاضر ، فذكر البعض أنه :

كان هناك (اسكيداس) ناسك ـ القديس انطونيوس ـ من بلدة قمن العروس مركز الواسطى ، خرج من مدينته وطلع إلى فوق الجبل وبنى له موضعا صغيراً وأقام فيه منفرداً . وقد خطر له أنه أول من سكن البرية وحينئذ أتاه صوت من السماء قائلا :

هوذا واحد يسكن البرية وهو مختار بالأكثر ، وهذا العالم كله لا يستحق موطىء قدمه الواحد ، ولأجله يبارك الله الأرض وتعطى ثمرتها . لما سمع انطونيوس هذا الكلام قال حى هو

ومبارك إلهى، إن عبدك لايعود إلى وراء ولايرجع حتى أنظره، ولم يكن ذا قلبين بل آمن ومضى بقوة الروح القدس داخل الجبل نحو المشرق حتى وصل إلى واد عميق وتوغل داخله فنظر شعلة نار صاعدة إلى السحاب فتعجب جداً وقال حقاً إن أعداء الحق تتبدل فى أشكال، وصلب عليه وقال يا الله أعن صورتك وخلصنى من الشيطان .

لقاء مع الانبا انطونيوس

مضى الشيخ وهو متيقن أن الله معه وأنه يعد له طريقه، وعند غروب الشمس نظر أثر إنسان مع آثار كثيرة من الوحوش ، فقال الآن علمت أن الرب لايترك عبده ومشى على أثر القديس حتى جاء ووقف على مغارة الشيخ الطوباوى ، ووقف انطونيوس على الباب وسمع القديس وهو يرتل فى هذا المزمور ويقول اعترف لك يا رب ... وقام ليصلى وقال يا الله إلهى الفاحص القلوب والكلى وكل أمر ظاهر أمامك ...

أما أنبا انطونيوس فأخذ حجراً كان ملقى فى الجبل ودق به حجراً آخر ، فلما سمع بولس وهو داخل المغارة ظن أنه العدو

أو خيال، فلم يسمع قط وحشا يعمل هكذا من اليوم الذى سكن فيه الجبل الذى يدعى بحيرة مريم. وأسرع ودحرج حجراً كبيراً خلف باب المغارة من داخل، فلما سمع انطونيوس صوت الحجر صاح وقال طلبت فأعطيت لى ، سألت فوجدت ، قرعت فانفتحت لى .

وقال القديس وهو بداخل المغارة : لا يجب للسائل أن يلح فى طلب الأمور التى يسعى إليها ، ولا يضيق صدره ، ثم فتح له وأدخله وقبلا بعضهما وصليا وجلسا فسأله انطونيوس عن اسمه، وأجاب الشيخ الطوباوى وقال له إن كنت لا تعرف اسمى فلماذا تتعب نفسك للسير فى هذه البرية .وفى ذاك الوقت اغتبط انطونيوس وقال: طوبى لى إذ استحققت أن أبصر بولس الثانى. فقال له الطوباوى : هل الأمور فى العالم تجرى على ما يرام ، قال نعم ثم قاما وصليا وجلسا كلاهما .

ثم قال له انطونيوس : يا أبى أريد أن تعرفنى عن هذا الإسكيم ، هل يكثر على الأرض أم لا فابتسم الطوباوى بولس ثم تنهد ، فقال له انطونيوس يا أبى نظرتك وقد ابتسمت

فتفرحت ، ولما تنهدت فلقت . أجاب بولس وقال هذه الجبال تعمر مثل أبراج الحمام ويجمع الله مختاريه من كل موضع ويعود اسم الرهبان ويفرحون كما هو مكتوب ، السكان فى مواضع الصخرة يفرحون وينقلهم الله قبل الغضب ، ثم يقوم من بعدهم جيل لا يسمع وهو غير مطيع لمن يسهرون على النفوس . حينئذ يغضب الله بسبب العصيان وتصبح الجبال خرابا زمانا لكن تذكار القديسين لا ينقضى ، وقد يملأ قلوب بعضهم على البعض حتى يتخلوا عنه ويقولون ليس فى هذا خير ، وقد يتركون الاسكيم عنهم والتعبد وينزلون إلى أسفل لأنهم لم يجدوا حلاوة محبة الله ولم يصبروا لها لأنه مكتوب أنه بصبركم تقتنون أنفسكم ، وآخرون أيضاً يتركون مواضع مساكنهم ويجولون فى شوارع المدن ويبنون لهم مساكن ويخرجون من وسط حظيرة الخراف ويدفعون ذواتهم للذئاب ويتركون عنهم مواضع تسبيح الله ويقيمون فى المواضع التى لا ينبغى ذكرها ويحبونها ويسكنونها لأنهم لا يقبلون تعاليم آبائهم ... فقوم يكرمونهم وقوم يعثرون لضعف حكمتهم ومعرفتهم ...

لكن الله يطرح فى قلوب قوم آخرين الرأفة فيمضون إلى

الجبال ليسكنوها دفعة أخرى ويدوسون العدو الشيطان تحت أقدامهم ، ويشنون الحرب الروحية ضده ويجاهدون فيأخذون أكاليل الغلبة والانتصار .

قيامة انبا بولا

وفيما هما يتحدثان إذا بغراب جاء وفمه فيه خبزة طرحها لهما على أسفل باب المغارة ، فقال الطوباوى بولس : الآن علمت انك من جند المسيح لأن لى فى هذا اليوم ثمانون سنة فى كل يوم آخذ نصف خبزة من الغراب ، فلما جئت أنت أرسل المسيح مضاعفا لنا - وقد حسبت من خاصته - هذا الرغيف لسد حاجة الجسد فإن الجسد كالفرس ، إذا أشبعته لا يمكنك أن تكبح جماحه إلا باللجام ، وإذا تركته لا يقدر أن يعمل ما ينبغى عمله . ولما قال هذا قاما وصليا وكانا يسبحان الله إلى وقت الغروب وجلسا ليأكلا ، وطلب الواحد من الآخر أن يقسم الخبزة ثم مد أيديهما وقسما الخبزة نصفين ولما انتهيا من الأكل قاما يسبحان الله حتى مطلع الفجر ، وعند الشروق تبادلا السلام ثم قال انطونيوس :

مباركة الساعة التى فيها استحققت أن أرى وجهك يا أبى القديس ، قال له الطوباوى بولس :

قم امض إلى مسكنك والحلة التى ألبسها لك أثناسيوس الرسولى البطريرك أحضرها لتكفن بها جسدى .

فتعجب انطونيوس لكلامه عن حلة البطريرك وآمن بكلمات النبوة التى قالها الطوباوى بولس ... قال له :

اسرع لا تقف بل امض سريعاً فإن زمان انحلالى قد قرب وهكذا كان الأمر على كل الناس محتوما .

فلما سمع انطونيوس هذا قلق جداً وبكى وقال ، يا أبى انى لم أشبع من الوجود فى حضرتك ، قال له بولس بل أسرع لكى تلحقنى قبل أن يأتوا خلفى . فخرج إلى الجبل وسار يومين حتى بلغ مسكنه ، وكان هناك أخ يدعى ابرآم فقال له : يا أبى أين كنت قبل ستة أيام لم أبصرك ، وكان انطونيوس قلقاً جداً ، وقال للكلام وقت وللسكوت وقت ، وأخذ الحلة وخرج فسأله الأخ عما إذا كان يريد أن يمضى معه ، قال « لا » .

وفيما هو سائر فى الطريق رأى جماعة ملائكة يسبحون فى السماء فوقف يسبح .

كانوا يرتلون :

« السلام للقائك بالقديسين يا بولس رجل الله .

تتهلل الملائكة معك .

انك ستفرح فى السموات ...

تركت عنك الظلمة وانطلقت إلى فردوس النعيم .

تركت عنك الحزن إلى الفرح الذى ليس له إنقضاء .

تركت عنك البكاء وستمضى إلى الفرح الأبدى .

لأنك صرت مطوباً فى جيلك ، وذكرك على مر الأجيال .

أنت رجل الله ، طوباك ثم طوباك » .

ولما انطلقت من أفواههم هذه التسابيح ارتفعوا إلى السماء .

عندئذ قال انطونيوس، هذه روح أبى القديس بولس تصعد إلى السموات وسار إلى أن بلغ مسكن القديس بولس المجاهد فى المسيح ، فلما دخل المغارة وجده ساجداً على ركبتيه ووجهه إلى الأرض ويداه مبسوطتان كالصليب فسجد أنطونيوس أيضاً مثله . وكان يظن أنه حى ، فلما مضى وقت ولم يسمع له صوت

أو نفس ولا تنهد كعادته علم أن جسد القديس وحـــده الذى أمامه . فقام وأخذه وبسطه وبكى عليه قائلا يا أبى أذكرنى فى المساكن العلوية التى مضيت إليها ، وفرش الحلة على جسده وأخذ يصلى صلوات طويلة ثم جلس وهو يفكر كيف يحمله ويدفنه لأنه لم يتذكر أن يحضر معه ما يحفر به الأرض وكان يقول : ماذا أفعل ، وما أقدر أن أمضى واتركه . وفيما هو يفكر إذا بأسدين قد أقبلا ودخلا المغارة ، وسجدا عند جسد القديس أنبا بولا وقبلاه ، فقال أنبا أنطونيوس لما رآهما على هذه الصفة ، وكانا يلعقان قدميه كأنهما يشيران إليه أين نحفر ، فعلم الشيخ إشارتهما وهما يومئان إليه بأرجلهما ، وقام وقاس طول الجسد وحدد لهما الأرض داخل المغارة ، فحفر أحد الأسدين عند الرأس والآخر عند الرجلين ونزلا مقدار قامة إنسان ، فأشار إليهما الشيخ بأن يكفا فقطع الأسدان من الحفرة ، وعند ذلك سجدا برأسيهما على الأرض كأنهما يقولان أذن لنا وخرجا من عنده .

ثم أن انطونيوس أخذ فراش الطـــوباوى بولس والثوب الليف الذى كان عليه ووضع علامة على الموضع حيث دفن فيه الجسد .

وبعد ذلك خرج متجهاً شرقا حتى وصل إلى الاسكندرية وانطلق إلى القديس أثناسيوس الرسولى البطريرك وعرفه بجميع هذه الأمور ، وأخذ البطريرك ثوب الليف الذى تركه الطوباوى بولس ووضعه عنده وكان يلبسه ثلاث دفعات فى السنة وهى عيد الغطاس المقدس وعيد القيامة المجيد وعيد الصعود الذى لخلاصنا يسوع المسيح .

ثم أن البطريرك أرسل أنبا أنطونيوس وأوفد معه كهنة ليحملوا إليه جسد القديس الطوباوى أنبا بولا ، وقال إنى أضعه عند جسد القديس الطوباوى انيانوس الذى كرســـه القديس مرقس الانجيلى ، فأخذ أنبا انطونيوس الرسل ومضوا جميعاً إلى الموضع الذى فيه جسد الطوباوى بولس ، وأقام يومين يبحث فى الجبل وكان لا يجد الموضع الذى دفن فيه جسد القديس بولا ، وقال له الذين معه ألعلك ضللت الطريق ، أما هو فقال بحق هذا هو الموضع وهذا الأثر .

وأما أنبا أثناسيوس البطريرك فظهـــر له فى الرؤيا أن الطوباوى بولس يقول له - أرسل خلف الرجال وأرجعهم ولا تدعهم يتعبون فى الجبل ، فليست هذه إرادة الله أن ينظرنى

أحد من الناس ، وفى الصباح أرسل البطريرك بسرعة « اسكيداس »(١) اسمه أولاجيوس فى أثر الرجال ليحضروا وقال له امض إلى الجبل فتصيب أثر العجلة فاتبع الأثر تجد القديس انطونيوس والذين معه وأرجع بهم فليس واجباً أن نظهر جسد القديس بولس لاحد من الناس دفعة أخرى .

فخرج أولاجيوس وسار فى الجبل فأصاب أثر العجلة فمضى فى أثرها حتى وجد القديس انطونيوس ومن معه فكلمهم بذلك الكلام . والوقت رجعوا إلى المدينة متعجبين مما كان . وأن البطريرك أثناسيوس الرسولى كتب سيرة بولس وجعلها فى كنيسة الاسكندرية وكانت تقرأ لكل أحد يريد الرهبنة . ومن أخذ بهذا الاسم فليمتلىء غيرة ، وحسنة هى الغيرة فى الحسنى .

اقامة ميت بوضع ثوب الليف عليه

كان بمدينة الاسكندرية صبى يدعى « الادنس » مرض ومات فصدقونى أيها الشعب المحب لله أنا أثناسيوس إنى أخذت الثوب الليف الذى كان الطوباوى بولس يلبسه ووضعته عليه ، فقام للوقت وأنا شاهد بهذا وشهادة اثنين أو ثلاثة هى حق .

(١) كلمة يونانية معناها ناسك .

أنا أثناسيوس أشهد انى أبصرت هذا برؤيا العين .

أنا الكسندروس الاسقف أشهد بصحة هذا القول .

أنا أنطونى أول القسوس أشهد أيضاً بهذه المعجزة .

نسأل الرب بصلاة القديس أنبا بولا أن يختم بالصلاح آخرتنا ويرزقنا رحمة ودالة ومغفرة لخطايانا أمام منبره المرهوب آمين .

† † †

دير القديس أنبا بولا

لايعتبر دير أنبا بولا أقدم الأديرة ولم يفز باهتمام الأثريين ولم يجذب أنظارهم مثل دير أنبا أنطونيوس - وهو أكثر انعزالا عن دير أنبا انطونيوس محوط بالجبال والصخور وأصغر منه .

إن القديس أنبا بولا (٢٢٨ - ٣٤٣ م) الذى مكث ثمانين عاما لم ير فيها وجه إنسان لم يترك تلاميذاً تتلمذوا على يديه أو عظات أو تفاسير لاهوتية بخلاف القديسين الكبار الآخرين أنبا انطونيوس وأنبا مكاريوس وأنبا باخوميوس ...

ولو لم يكن - بتدبير من الله - زاره أنبا انطونيوس لبقى أنبا بولا نسيا منسياً، ولم يكن بالتالى أقيم ديره الموجود حالياً.

ويرى المؤرخون انه كان موجوداً حوالى القرن الرابع شأنه شأن أكثر الأديرة على أساس ان أحد الرحالة « يستميان » قد زار مصر حوالى سنة ٤٠٠ م ، وبين الجهات التى زارها دير ألبا انطونيوس ودير أنبا بولا (١).

وهذا الدير لابد أنه كان معروفا وقائماً فى القرن السادس لأن بعض الرحالة زاروه بين سنة ٥٦٠ - ٥٧٠ م ويذكر ذلك

(1) Lausiac Hist Vol I p. 231 — 232 .

« أوتومناروس » فى كتابه ص٩٥ «Monks and Monasteries»

« The monastery must have been well known by the time of the sixth Century, for we hear that Antonius Martyr, a native of Placentia visited the shrine bet. 560 – 570 A. D. » .

ويذكر الرحالة الذين زاروا الدير سنة ١٣٩٥ م أنهم وجدوا ستين راهباً .

ووصفه المقريزى « دير النوره » .

ومنذ القرن الخامس عشر حل بالدير الدمار والخراب كسائر الأديرة ، وكان هجوم غربان الصعيد عليه سنة ١٤٨٤م ، وظل مهجوراً سنين طويلة وخالياً من الرهبان زهاء ثمانين عاما - ويظهر أن النقوش التى كانت تزينه سرقت كما أن المخطوطات أحرقت - وقام الأنبا غبريال السابع بترميم الدير (١٥٢٥ - ١٥٦٨ م) .

وفى القرن السابع عشر كانت إدارة ديرى أنبا بولا وأنبا أنطونيوس واحدة ، غير أن دير أنبا بولا كان يلتحق به الشيوخ أما دير أنبا انطونيوس فكان للشبان .

وقد ذكر الرحالة Johann George انه حتى منتصف القرن التاسع عشر كان يشرف على الديرين قس واحد .

وقد أعاد بناء الدير أنبا يؤنس السادس عشر (١٦٧٦ - ١٧١٨ م) وقام بتعميره فى سنة ١٧٠١ م بعد خراب دام أكثر من مائة عام .

وذكرت بعض المصادر التاريخية أنه فى سنة ١٧٣٧م كان بالدير ٢٥ راهباً ، وكانوا يتناولون الطعام مرة واحدة فى اليوم عدا السبت والأحد .

ولم يسمح بدخول النساء إلى الدير - وذكر الرحالة Pococke الذى كتب عن الدير ذلك :

« . . . a woman is not permitted to enter the Convent » .

أما « أوتومينا روس » فيقول أنه لم يكن يسمح للرهبان بالتدخين وأكل اللحوم .

«At the time of Pocockés visit to the monastery the monks were not allowed so much as to smoke in the Convent, nor to eat meat ... » .

وفى القرن الثامن عشر قام المعلم ابراهيم الجوهرى الذى كان مهتما بإصلاح الكنائس والأديرة بإصلاح ما تهدم من دير القديس بولا ، وبنى كنيسة أبى السيفين التى لا تزال قائمة الآن فوق مغارة القديس .

ودير أنبا بولا أبعد الأديرة القبطية عن المدن . وكان الطريق إليه من أصعب الطرق وأخطرها ، فهو محصور من كل الجهات بالجبال - أما الآن فيمكن الوصول لديرى انطونيوس وبولا فى بضع ساعات بالسيارات .

لقد تم على الآباء قول الكتاب « سكنوا فى الجبال والمغائر وشقوق الأرض معتازين مكروبين . . . ولم يكن العالم مستحقاً لهم .

ما أشجع هؤلاء الجنود الروحيون الذين سكنوا القفار والمغائر والكهوف ...

أولئك الذين كانوا إذا تعبوا من السير فى البرية يفترشون الغبراء وكأنهم يرقدون على فراش وثير . مواكب الملائكة تحفظهم وتحرسهم وتحيط بهم من كل ناحية . إذا أرخى الليل سدوله اتخذوا البرية الشاسعة لهم مستقراً ومقاما إذ لم يكن لهم مكان ظاهر ، وكانوا كل حين يغتذون بالغذاء الروحانى من الصوم والصلاة ينتظرون النهاية المفرحة واليوم الرهيب حيث يأتى الرب يسوع فى مجده ومجد أبيه ليدين الأحياء والأموات .

وقد روى المتنيح القمص عبد المسيح المسعودى فى كتابه تحفة السائلين فى ذكر أديرة الرهبان المصريين ص ٩٥ .

دير أنبا بولا يقع إلى الجنوب الشرقى من دير أنطونيوس. وذكر فى سيرة أنبا بطرس البطريرك ١٠٤ ، وأنبا يؤنس ١٠٥ وأنبا مرقس ١٠٦ .

وذكر أنه بالدير قلايات كثيرة للرهبان وقصر كبير كعادة الأديرة ، وبه أربع كنائس :

(١) كنيسة على اسم القديس أنبا بولا تحت الأرض فى المغارة .

(٢) كنيسة الشهيد أبى السيفين بناها المعلم ابراهيم الجوهرى.

(٣) كنيسة الملاك ميخائيل .

(٤) كنيسة السيدة العذراء القصر القديم .

أودع بدار الكتب تحت رقم ٢٧٣٣ لسنة ١٩٧٦